

## دليل الحيوان في القرآن



1- الحيوان معلّم الإنسان: قال تعالى: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...) (الأنعام / 38). التطبيق الحياتي: للحيوانات - كما للبشر - مجتمعات تتجمّع فيها أفرادها، فكلّ حيوان برّيّ أو طائر أو بحري له خصائص ذاتيّة، وطبّاع، وعلاقات، وطريقة مشي وتنظيم. وفي حياة الحيوان من الدروس والعبر والمادّة التعليمية ما يثري حياة الإنسان، حتى يمكن أن يستوحي من تجارب الحيوان أو سلوكه دروساً حركيّة تنفعه في حياته، ذلك أنّ الله تعالى يريد لك أن تفهم ما حولك لتتعلّم منه دروس الحياة، وتتعرف على عظمة الخالق ووحدا نيّته من خلال التفكّر في مخلوقاته الأخرى غير البشرية، أي أنّ عقيدتنا كمسلمين لا تنفصل عن حياتنا الإسلاميّة بدين الحيويّة والتطوّر. وقد قيل في هذا الصدد إنّ على العاملين في حقل التربية الإسلاميّة، أن يجعلوا من علم الحيوان مادّة ثقافية تربويّة، تربط الإنسان بالله. "إنّ في مجتمع (النمل) و (النحل) - مثلاً - دروساً ثريّة، يمكن الإستفادة منها في حياة الإنسان. ففصيلة النمل مثلاً تضمّ نحو (3500) نوع، كلّها اجتماعية باستثناء أنواع قليلة متطفّلة. فالنمل يحيا حياة اجتماعية مشابهة لحياة النحل. ومجتمع النمل مقسّم إلى ثلاث طبقات اجتماعية: هي: الأثنى البيّوض أو (الملكة)، والأناث العقيّمات أو (العاملات)، والذكور. يهتدي النمل إلى طريقه بوسائل مختلفة تختلف باختلاف أنواعه، فمنها ما يلمس الأثر الذي تتركه عاملات النوع نفسه ويشمّه ليهتدي إلى



عَدَابُ أَلِيمٌ) (الأعراف/ 73). التطبيق الحياتي: هل جزاءُ الإحسان إلا الإحسان؟ فإذا كانت الحيوانات المسخّرة لخدمة الإنسان وغذائه وأُنسه وكسائه محسنةً له بأقصى درجات الإحسان، وبما أمرها ربُّها فأطاعته، ألا يجدر بالإنسان أن يُراعي حقوقها فلا يمسّها بسوء؟! أبصر رسول الله (ص) ناقةً معقولةً (مربوطة) وعليها جهازها (حملها)، فقال: "أين صاحبُها؟ مُروهُ فليستعد غداً للخصومة!" وكان (ص) يقول: "للدابة على صاحبها ستٌ خصال (حقوق): يعلفها إذا نزل، ويعرض عليها الماء إذا مرَّ به، ولا يضربها إلا على حقٍّ، ولا يُحمّلها ما لا تُطيق، ولا يُكَلِّفها من السير إلا طاقتها، ولا يقف عليها فُواقاً" [2]. وفي بعض الروايات: نهى عن أن يسمّها (يستخدم حديدة حامية فيضعها على وجهها)، فلقد مرَّ (ص) بحمارٍ قد وُسمَ في وجهه، فقال: "أما بلغكم أنِّي لعنتُ مَنْ وسمَ البهيمة في وجهها، أو ضربها في وجهها؟! وفي رواية: "لا يضربها في وجهها، فإنّها تُسبِّح!!" وصدق (ص) إذ يقول: "فَرُبَّ مَرْكُوبَةٍ خَيْرٌ مِنْ رَاكِبِهَا، وأكثر ذكراً" تبارك وتعالى منه!! إنَّ الحيوان ليس له لسان يشتكى به، فيلتق الأبقار فيه صاحبُه، فتفقده إذا جاعَ أو عطش، أو أُرهق في السير أو الحمل الثقيل، من بعض الإحسان إليه والرِّفق به، وهو دليل على حُسن صُحبة الإنسان له، فالحيوانُ صاحبٌ كما الإنسانُ صاحبٌ، وهو يحمل بعض الأحاسيس فيستشعر اللطف من صاحبه، كما يُعاني القسوة منه، حتى أن رسول الله (ص) قال: "إنَّ الدابة تقول: اللهمَّ ارزقني مَلِكاً صدقاً (صاحباً مُحسناً): يُشعني، يُسقيني، ولا يُحمّلني ما لا أُطيق". إنَّها تسأل الأبقار صاحباً رقيقاً، ومالكاً شقيقاً؛ لأنَّها لا تستطيع أن تشتكى للعدالة إن ظلمتها، ولقد ورد عنه (ص): "لو غُفِرَ لكم ما تأتون إلى البهائم (أي من قسوة) لغفر لكم كثيراً!!" لقد حجَّ الإمام علي بن الحسين (ع) على ناقةٍ له أربعين حجّةً، فما قرعها بسوطٍ!! فما أحسن هذه الصُحبة وأرقى هذه المعاشرة، وأرفق هذا الإنسان بهذا الحيوان. أتعلم أنتَ أم أنت لا تعلمُ بأنَّ الشرع المقدّس أوجب على المالكِ للدابة النفقة؟! نعم، كما تنفق على عيالك، أنتَ مسؤول عن أن تُنفق على ما تملك من حيوان، ونفقته هي ما يحتاج إليه من أكل وسقي ومكان يستريح فيه إذا تعب، وينام فيه إذا جنَّ عليه اللّيل. أتعلمُ أنَّ من يملكُ حيواناً ولا يملك نفقته، فيجب عليه إمّا أن يبيعه، أو يهبه، أو يذبحه (إن كان ممّساً يُؤكَل)، ولا يجوز له أن يتركه يتعذّب حتى يموت. وإذا لم يكن لديه مالٌ يشتري به طعاماً لدابّته، إقترضَ وقدّمه إليها، فتصوّر!! وقد ورد عن النبي (ص) في سياق الرأفة بالحيوان، أنَّهُ قال: "إطَّلعتُ ليلةً أسري بي على النار، فرأيتُ امرأةً تُعذّب، فسألْتُ عنها، فقيل: إنَّها ربطت هرّةً ولم تُطعمْها ولم تَسقِها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت، فعذّبها بذلك!!" وقال (ص) بالإتّجاه المعاكس: "واطَّلعتُ على الجنّة، فرأيتُ امرأةً مومسةً (يعني زانية)، فسألْتُ عنها،

فقيل: إنَّها مرَّت بكلِّبٍ يلهث من العطش، فأرسلت إزارها في بئرٍ فعصرتهُ في حلقة حتى رُوِيَ، فغفرَ اللهُ لها!!! إنَّ الحيوان كائنٌ رُوحِي، أي له روح، يتألَّم للعذاب، ويشعر بالإحسان، ألا ترى أنَّ المسحَ على أعناقِ الخيلِ وسوقها، يُشعرها بلُطفِ فارسها، فتُبدله لُطفًا للطف، ولقد وجدت الخيل من نبي الله سليمان (ع) رعايةً خاصَّة: (فَطَفِرَقَ مَسْجِدًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ) (ص/ 33). فكأنَّه بلمساته وتمسيداته الحانية، يشكرها على خدمتها له. ولا يخطرن لك على بالٍ أنَّ عصا موسى (ع) كانت تضرب أغنامه، فكلمة (أَهْشُ بِهَا عَلَيَّ غَنَمِي) (طه/ 18)، أي أضرب أغصان الأشجار لتتساقط أوراقها، فأُطعم بها غنمي! إنَّ ناقة صالح (ع) كانت كريمةً مع قومها، فلقد كان لبنها يكفيهم في يوم شربها، فهي لم تكن ناقةً مستهلكةً، بل كانت ناقة مُنتجة، لكنَّهم لم يتركوها تأكل في أرضِ الله، فلقد حدَّد اللهُ تعالى لها رزقها من الماء كما لهم أرزاقهم، لكنَّهم اعتدوا عليها فقتلوها. لقد نهى رسول الله (ص) عن المُثْلَةِ ولو بالكلبِ العقور، أي تشويه الجثَّة بعد (القتل)، كما نهى عن التحريش بالبهائم، أي المصارعة بينها، كما يفعل بعض الساديِّين في صراع الدِّيَكَّة، أو مناطحة الأكباش أو مصارعة الثَّيْران، فتسيل الدِّماء ويموت بعضها من شدَّة العذاب وثقل الجراح، والمتفرِّجون يرقصون فرحًا!! لقد كانت لفتة رائعة من الإمام علي (ع) وهو يُنبيِّه إلى أنَّ الإنسان مسؤول عن البهائم والحيوانات مثلما هو مسؤول عمَّن يعوله من زوجة وأبناء وأهل، حينما قال: "إِتَّقُوا اللهَ في عباده وبلاده، فإنَّكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم". ولأنَّه لم يكن يوصي بالتقوى إلا بعد أن يكون قد مارسها عملاً، فإنَّه كتطبيق حياتي كان يُقدِّم نفسه نموذجاً وقدوةً في رعاية حقِّ حتى النملة الصغيرة، حيث يقول: "والله، لو أعطيتُ الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملةٍ أسلبها جُلِبَّ شعيرة (قشرتها) ما فعلته!!" وليس لنا بعد هذا القول الذي يفيض إنسانيةً في حقِّ الحيوان، ناهيك عن الإنسان، من قول. إنَّ رعاية الحيوان والإحسان إليه واللطف به لا تتوقَّف عند التعامل معه حيًّا، بل تمتدُّ هذه الرعاية حتى عند ذبحه، فالحيوان - كما يُعبِّر بعض الفقهاء - يستشهد من أجل الإنسان، ولذلك أنتَ مُطالب: - بأن تسقي الحيوان الماء قبل ذبحه. - أن تحدد الشفرة وتُمرِّر السكين على المذبح بقوةٍ بنحوٍ لا يوجب أذى الحيوان وتعذيبه. قال (ص): "إنَّ الله تعالى شأنه كتب عليكم الإحسان في كُلِّ شيءٍ، فإذا قَتَلْتُمْ فأحسنوا القتلَةَ، وإذا ذبَحْتُمْ فأحسنوا الذَّبحَ، وليحدِّد أحدكم شفرته، وليُرح ذبيحته!!" - أن تُؤارى (تُخفى) الذبيحة عن البهائم الأخرى، فكأنَّه يترفِّق بالحيوان الناظر إلى رفيقه يُذبح أمام ناظره. وأن لا تذبح ما ربيَّتَ بيدك من الحيوان، فكأنَّه استكمال لحُسن الصُّحبة، وإبعاد عن ما يُقسى القلب، ويُذهب بالرأفة والرحمة، إذ كيف تذبح ما ربيَّت؟! - عند ذبح الطير، أسلهُ بعد

الذباحة حتى يُرْفرف، فكأنَّما حبسكَ له بعد الذبح لا يجعله يُعبِّر عن ألمه بحرِّيَّة، وإرساله راحة له. - وعند ذبح الكبش، أن تربط يديه وإحدى رجليه، وتُطلق الأخرى ليمارس الرِّفس بعد الذبح، وأن تُمسك صوفه أو شعره حتى يبرد، فكأنَّ المراد أن لا تتخلَّى عن هذا الذي رعيته أو رعاه غيرك، وكأنَّك تنقم منه، بل حتى وأنتَ تذبحه تحافظ على لُطف مشاعركَ معه.. لا تقل: هو ليس بإنسان، هو كائن رُوحِي! ولقد بلغت الرُّأفة بالحيوان درجةً عند الإنسان المسلم بحيث حُرِّم عليه إيذاء الحيوان غير المؤذي، فكما أن ناقة صالح قُتِلَت، ولم تؤذِ أحداً، بل كانت مُباركة نَفَّاعة، فكذلك لا يجوز قتل أيِّ حيوان أليف أم مُسالَم غير أليف لا يُخشى منه خطرٌ أو ضرر، ألم تقل تلك النملة الخائفة على أخواتها: (ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ° لا يَحْطَمَنَّكُمْ ° سُلَايْمَانُ ° وَجُنُودُهُ ° وَهُمْ ° لا يَشْعُرُونَ) (النمل/ 18)، فهي تعرف أن سليمان (ع) ليس عدوانياً، فكيف بمن يحطِّم الحيوان البريء وهو شاعرٌ بما يفعل؟! عن ابن عباس "نهى رسول الله (ص) عن قتل كلِّ ذي روحٍ إلا أن يُؤذي". وعنه (ص): "مَنْ قَتَلَ عَصْفوراً بِغَيْرِ حَقٍّ سَأَلَهُ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟! قَالَ: يَذْبَحُهُ ذَبْحاً ° وَلا يَأْخُذُ بِعُنُقِهِ فَيَقْطَعُهُ!!" فإذا لم تكن للطيور والحشرات غير الضارَّة محكمة ترفع إليها شكاوها من ظلم الإنسان، فإنَّ يوم الفصل كان ميقاتاً. يقول (ص): "ما من دابَّةٍ (طائر أو غيره) يُقْتَلُ بِغَيْرِ حَقٍّ إلا ستُخاصمه يوم القيامة!!" وقد تقول: كيف إذا هدَّد سليمان (ع) الهُدَّهْد قائلًا: (لَأَعَذِّبَنَّاهُ ° عَذَابًا شَدِيدًا ° وَأَوْ لَأُذِيبَنَّاهُ °) (النمل/ 21). إنَّ هذا الحكم لا يسري علينا، لأنَّه الهُدَّهْد كان جندياً من جنود سليمان (ع)، الذي عُلِّمَ منطلق الطَّير، ولأنَّه كان يؤاخذ المُسيء بإساءته حتى لا يؤثِّر غيابُه على بقيَّة الطيور. وبالتالي، فهي قضِيَّة خاصَّة لا يُستلَّ منها حكم بالتعذيب المزاجيُّ أو الذِّبح الكيفي.

[1]- عن المعجم الطبيعي للقرآن الكريم، ص416-414. [2]- "لا يضربها إلا على حقٍّ": فسَّره (ص) في حديث آخر: "اضربوها على الثُّغر (إذا هويت)، ولا تضربوها على العثار (إذا سقطت)". "ولا يقف عليها فواقاً"، فسَّره (ص) في حديث آخر: "لا تتَّخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق".